

## عمر بهاء الدين الأميري.. عبقرية الشاعر المؤمن



قال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان "حلب بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء"، ومن خيرات حلب الكثيرة أن أنجبت للدنيا المغفور له عمر بهاء الدين الأميري الشاعر المؤمن الذي خالطت قافيته بشاشة الإيمان وشاعرية عبقر.

شاعر تكاد تسمع في كلماته رفيف أجنحة الملائكة وتحس فيها جلال الروح المطلقة عصفير في رياض الجنة، لم تنحت لغة القانون من إشراق عبارته الأدبي ولم تخذش جمال روحه يوميات المحاماة المليئة بدران الحياة، بل ظل قبس روحه يتوهج كاللؤلؤ المحامي بحلب، ووكيل "المكنون شذى إيمانه يعطر جنبات نفسه المفعمة بحب ال الدعوة الإسلامية فيها" حسب ما كتبت مجلة الشهاب التي كان يصدرها الإمام حسن البنا في الثلاثينات، ولد بنفس شاعرة وإحساس حاد بالجمال، كان يختار ورقاً أنيقاً معطراً ويعجب بخطه كثيراً لدرجة أنه يطبع دواوينه بخطه

شاعر رقيق الطبع قوي الشكيمة عميق الإيمان، رحل إلى باريس أيام كانت حسناواتها تخب اللب وتمتعها تخف بأرواح التقاة، لكن الأميري ظل يتأبى على إغراء باريس وفتنة نهر السين محولا حسنها البارح إلى محراب عبادة يضمخه في هدأة الفجر بدموع السجود، متأملاً في جمالها جلال الله وفي تضاريسها الساحرة تباشير جنة الفردوس، وهيهات للدنيا أن تفتك بقلب الأميري المفعم بالإيمان! فأسس بباريس مركزاً للدعوة

الإسلامية وبدأ في دحرجة شمس الهدى لتشرق في قلوب الطلبة العرب المتساقطين  
على جنبات شاطئ المانش وبين جدائل نهر السين .

في شعر الأمير مسحة روحانية وعلقة من فلسفة سامية استطاع صهرهما في بوتقة  
شاعريته المتفردة فجاءت سبائك قوافيه آيات الجمال والجلال في الشعر العربي، تغزل  
الأمير بالسجود وشبب بالفكر الإسلامية وقدم في ثوب حرير ناعم صورة الروح  
المؤمننة بالله المسبحة في فضاء كونه كعصافير الروض وبلايل الدوح وخرير الساقية.  
من أول وهلة يشدك الأميري إلى الإيمان جاعلا من تأمله الفلسفي في منطقتها وتناولها  
الشاعري لتفاصيلها سندا لا يقاوم في تساميه الإنساني الروحاني

كيف لا أومنُ بالله، وهل

لذوي الألباب فيه مُلْتَبَسٌ

كيف لا أبصره في خَلْقِه

في الضحى، في الفجر، في جنح العَلَس

كيف لا أحيا به، والروحُ من

أمره، في غور ذراتي انبَجَس

كيف لا تَسْعُدُ نفسي بسنا

نوره في كل ترديد نَفْس

وأنا، في سرِّ كُنْهِي، مَنْ أنا؟!؟

أنا من إبداعه السامي قبس

كتب عنه أبو الحسن علي الندوي في مقدمته لديوانيه رياحين الجنة "وجدت في شعرك  
لذة ومنتعة وسعادة، ما لا أجده في غيره من الشعر الجديد، وهو - والحق يقال - نفحات  
من الإيمان، وقبسات من نور القرآن، وصدق العاطفة، ورقّة الشعور، وتصوّر دقيق  
لهواجس النفس، وخلجات الفكر، وكم تمنيت أن كنت معك في دعائك، وفي لحظات

:ابتهاالاتك وأنت

مع الله في سبحات الفكر

مع الله في لمحات البصر

مع الله في زفرات الحشا

مع الله في نبضات البهر

مع الله في رعشات الهوى

مع الله في الخلجات الأخر

لكن الأميري في تساميه الإيمانى النابض باليقين الواعى من خلال نص السالف لا  
يتركك في صحراء الروح المقفرة باحثاً عن يقينه الذى كشف لك عنه بل ينبهك إلى  
ضرورة التحرر من "أسر الحياة" أى من صخبها المصم لمنافذ القلب أن تخبت بوقار  
الإيمان الذى يمنحك السكينة الرضية

رباه قد ضج الألم

. والكون نام ولم أنم

الواقع المضني الممض

. يجرنى نحو الظلم

وعوالم الغيب البعيد

. تلوح كالحلم الأصم

أنا لست أدري خلف هذا

. الدرب ماذا قد جثم

ووراء آكام الغد المجهول

أىّ أسى ألم

قدر تحكم في الرقاب  
وسهم دهر قد نجم  
ماذا يفيد نوي الحجا  
. ندم وقد طوي العلم  
جف المداد فلا مرء  
. ولا منى ، رفع القلم  
أمر الإله وحكمه  
. والله أحكم من حكم  
سلمت للرحمن تسليم  
العزیز إذا عزم  
ورضیت حكم الله في  
الروح المضرج بالألم

"لكن هذا القلق المضطرب بروح الأميري ليس أمانة ريب بل هو أحد "مدارج السالكين إلى يقين الإيمان وحلو بشاشته الحنون، وإذا كان الأميري قد أسلم نفسه لبارئها متحررا من قلق غرور حين قال

سلمت للرحمن تسليم  
العزیز إذا عزم  
ورضیت حكم الله في  
الروح المضرج بالألم

لبارئ "إلا أنه يضع يدك في مسيرته الروحية على شفاء الداء وبلسم الجرح إنه"سجدة  
الروح تسكب فيها معين الإيمان حين تتصل بمصدرها الأول وتخرج من حماة الطين

سجدة تخفض الجباه ولكن

عز فيها مسبح وتعالى

كما يقول محمد إقبال، يكتب لك الأميري مقطوعة "سجدت فانكشفت" وكأنه يأخذ بيدك  
من لجج الهم و"أسر الحياة" إلى فضاء الروح اللامحدود

أرسلت في صفحات الفجر ناطقة

سطورها بين تلميح و تصريح

أرسلت نظرة قلب آئب و لها

يرنو جواه لالهام و توضيح

فذكرتني نجوم الفجر في خفر

هدي السماء بأن أنسى تباريحي

سجدت ممثلا لله فانكشفت

و رددالقمر الوضاء تسبيحي

كأنما كنت في سجن الحدود و ما

سجدت الا لإطلاقي و تسريحي

ويثني لك كي تعيد جبهتك ثانيا للأرض في سجدة ترفعك عن عالم الدنس والطغيان  
وتطلق روحك من إيسار اللذة والشهوة والحنين للطين

أي سر يودي بدنيا حدودي

كلما همت في تجلي سجودي

كيف تذرو سبحان ربي قيودي

كيف تجتاز بي وراء السدود

كيف تسمو بفطرتي و وجودي

عن مفاهيم كوني المعهود

كيف ترقي بطينتي و جمودي

في سموات عالم من خلود

أتراها روحا من المعبود

قد جلت ذاتها لعين شهودي

وقد عانق الأميري أحلام الأمة في العودة لعصرها الذهبي وأسف نادما على ما آلت  
:"إليه من ترد في مختلف مجالات حياتها، تنبض بذلك قصيدته" لا لم أنم

لا لَمْ أَنْمَ ، بَلْ قَدْ أَرِقْتُ وَ لِلصُّدَاعِ رَحَى تَدُورُ  
وَ العُرْبَةُ اللَّيْلَاءُ فِي عُمري أَوَامٌ لا يَحُورُ  
وَ حدي أَعْدُ دَقَائِقي وَأُضِيعُ فِي تِيهِ الدُّهُورُ  
حَيْرَانُ أَفتَقَدُ المعالِمَ ، لا حِجابَ وَ لا سُفورُ  
أَسْهُو وَأَصْحُو وَ الدُّجى ساجٍ وَ في نَفْسي فُتُورُ  
فَأغيبُ عَن دُنْيا شعوري فِي ضبابِ اللاشعورُ  
مِنْ كَلِّ فَجَّ يَنْسَلُونَ كَأَنَّهُ يَوْمُ النُّشُورُ  
كُلُّ يُسارِعُ فِي مُناهُ ، وَأِنَّها لَمُنَى عَرورُ  
أَعباءُ كُلِّ الخَلْقِ ! وَ يَلي كِذْتُ إِعياءُ أُمورُ  
فَالأَرْضُ تَحْمَلْني عَلى مَضَضٍ وَ توشِكُ أَنْ تَفُورُ  
وَ شَرَعَتْ أَصْحُو مُثَقَّلَ الأَنفاسِ مَبْهُورَ الشُّعورُ

ولم يلبث الأميري بعد هذه اللحظة المائجة بأخيلة الضباب المعبرة عن حاضر ومستقبل أمته، لم يلبث الأميري أن أبصر رافد الجرح وسر الألم، إنه "الكون بالغربان عج"، الجسور" أي الرجل "والمجد المدنس والشرف الملقى على قارعة الذل ما زال ينتظر المقتحم، الداعية البناء، المؤمن المراغم، قل ما تشاء، وتأتي المفاجأة" ولا جسور" وهو :حكم طبيعي لكون يضح بالغربان،

أَعْمَضْتُ عَيْنِي مَرَّةً أُخْرَى ، وَمَزَّقْتُ السُّتُورُ  
فَرَأَيْتُ أَهْوَالاً ؛ وَكَانَ الْحَقُّ مِنْ غَيْظٍ يَفُورُ  
وَالكُونُ بِالْغَرْبَانِ عَجَّ ، فَلَا صُقُورَ وَلَا نُسُورُ  
وَنظَرْتُ وَالْأَخْلَاكُ تَدْفَعُ نَظْرَتِي خَلْفَ الْحُسُورُ  
وَرَأَيْتُ صَرَخَ الْمَجْدِ يَنْتَظِرُ الْجَسُورَ وَلَا جَسُورُ

وتنهض في هذه اللحظة روح الداعية متغلبة على روح الشاعر، الداعية الذي يحسب أن هم الأمة ملقى على كتفيه وحده، ينوء بنقله، ويجيب الأميري منادي المجد ويصغي لمؤذن النفرة

وَكَأَنَّ إِنْقَاذَ الْوُجُودِ عَلَيَّ مَحُورُهُ يَدُورُ  
وَرَأَيْتُنِي ، وَأَنَا.. أَنَا الْمَسْكِينُ ، كَالْأَسَدِ الْهَاصُورُ  
وَحَدِي ، تَسَلَّقْتُ الرِّيحَ الْهَوَّاجَ ، سُوراً إِثْرَ سُورُ  
وَمِنَ الذُّرَى أَبْصَرْتُ دَرْبَ الْخُلْدِ رَشْتَهُ الْعُطُورُ  
وَتَلَامَعَتْ فِي مُنْتَهَاهُ طُيُوفُ جَنَّاتٍ وَحُورُ  
وَسَمِعْتُ ثَمَّ هَوَاتِفَ الْأَقْدَارِ: حَيَّ عَلَى الْعُبُورُ  
فَقَدَفْتُ نَفْسِي ! غَيْرَ أَنِّي شِمْتُ أَجْنَحَةَ الطُّيُورُ  
بُسِطَتْ لِتَحْمَلَنِي ، وَحَطَّتْ بِي عَلَى جَدَدِ الْمُرُورُ



فَتَحْتُ عَيْنِي ، وَالْخِلاَفَةُ فِي رُؤْيِ أَمَلِي الْغَيُورُ  
وَالرُّوْحُ يَقْظِي ، وَالْأَمَانَةُ فِي دَمِي نَارٌ وَنُورُ  
وَالْعَهْدُ فِي عُنُقِي ، وَأَمْرُ اللَّهِ ، فِي عَزْمِي يَثُورُ

وقد كان الأُميري داعية السلم الذي عرف دينه وثقافته فانتمى للأمة وتعرف على مضامين الأفكار والمفاهيم المعاصر فقدم رأيه المنطلق من الثوابت المطل على ثقافة العصر، ودافع عن الفكرة الإسلامية بروح المحامي الخبير بإبطال حجج الخصم وعقل الفقيه العارف بتحرير محل النزاع، يقول حول موقفه من القومية التي كانت الدعوة لها :على أشدها أيام شبابه الأول

قالوا العروبة قلنا إنها رحم  
وموطن ومروءات ووجدان  
أما العقيدة والهدي المنير لنا  
درب الحياة فإسلامٌ وقرآن  
وشرعة قد تأخت في سماحتها  
وعدلها الفذ أجناس وألوان

لكن التجوال في رياض شعر الأُميري لا تكتمل متعتها الراقية بدون الكشف عن الأُميري الأب والأُميري الابن، فقد حمل شاعر سورية عبقا من أنسام جدائل رياضها المعطرة فألبست روحه غلالة من نضارة بشرة ظبائها الخرائد التي يجرحها النسيم أو كما قال امرؤ القيس

من القاصراتِ الطرف لو دبَّ محولٌ من الذرِّ فوق الإلتب منها لأثرا

وعطر الأميري روحه الرقراقة بدموع السجود، فخفت كأنها شذى سوسنة في مهب الصبا، وقصيته "أب" التي أصبحت فيما بعد عنوان أحد دواوينه تحس فيها قلب الأب الحنون المنفعل بتفاصيل الضجيج الممتع لأبنائه، و"لا يعرف الحب إلا من يكابده"، فلو قدر لك أخي القارئ أن تكون أبا لأنصفت شاعر سورية وهو يناغي أطفاله بقوافي النسيم بل وأنصفت كل أب، لكن الأميري أجاب عن كل أب معذول في الإعلان عن حبه لزهوره المتفتحة حين قال:

قد يعجب العذال من رجل يبكي، ولو لم أبك فالعجب هيهات ما كل البكا خور إني وبني  
عزمُ الرجال أبُ

كتب الأميري هذا القصيدة وهو يودع أبنائه وأسرته بعد صيف جميل جمعهم في ضواحي لبنان، بعد فراق سنة كاملة حيث كان يعمل في سورية ويأتهيم مع كل عطلة صيف:

أين الضجيج العذب والشغبُ

أين التدارس شابه اللعبُ؟

أين الطفولة في توقدها

أين الدمى في الأرض والكتبُ؟

أين التشاكس دونما عرض

أين التشاكي ماله سبب؟

أين التباكي والتضاحك في

وقت معاً، والحزن والطربُ؟

أين التسابق في مجاورتي

شغفا إذا أكلوا وإن شربوا؟

يتزاحمون على مجالستي

والقرب مني حيثما انقلبوا  
فنشيدهم: (بابا) إذا فرحوا  
ووعيدهم: (بابا) إذا غضبوا  
وهتافهم: (بابا) إذا ابتعدوا  
ونَجِيَّهم: (بابا) إذا اقتربوا  
في كل ركن منهم أثر  
وبكل زاوية لهم صخبُ  
في النافذات زجاجها حطموا  
في الحائط المدهون قد ثقبوا  
في الباب قد كسروا مزالجه  
وعليه قد رسموا وقد كتبوا  
في الصحن فيه بعض ما أكلوا  
في علبة الحلوى التي نهبوا  
في الشطر من تفاحة قضموا  
في فضلة الماء التي سكبوا  
إني أراهم حيثما اتجهت عيني  
كأسراب القطا سربوا  
ذهبوا، أجل ذهبوا ومسكنهم  
في القلب ما شطوا وما قربوا

دمعي الذي كتمته جأدا  
لما تباكوا عندما ركبوا  
حتى إذا ساروا وقد نزعوا  
من أضلعي قلبا بهم يجب  
ألفيتني كالطفل عاطفة  
فإذا به كالغيث ينسكب  
قد يعجب العذال من رجل يبكي،  
ولو لم أبك فالعجب  
هيهات ما كل البكا خور  
إني وبى عزم الرجال أب

ولن نغادر روضة الأميري قبل أن ندون لك أخي سياحته الراقية في جلال الله وتأمله  
:السامي في كنه الوجود في مقطوعة تنبجس من جنباتها مصابيح الإيمان

كلما أمعن الدجى وتحالك  
شمت في غوره الرهيب جلالك  
وتراءت لعين قلبي مرايا  
من جمال أنست فيها جمالك  
وتراءى لمسمع العقل همس  
من شفاه النجوم يتلو التنا لك  
واعتراني توله وخشوع

واحتواني الشعور: أني حيالك

ما تمالكت أن يخز كياني

ساجدًا عابدًا، ومن يتمالك

لا أحد يا عمر.... لا أحد... ومن ذا الذي يتمالك أمام روعة الكون وجلاله إلا إذا كانت  
روحه مقدودة من الصخر، و إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يهبط  
من خشية الله

السبت, ٢٥ يونيو ٢٠١١ ٤٠:١٢